بعلم اذا مابات فيهم متوجا فياطالما قد كان فينا معمما
فإما لعمري قدوة بمعاصر واما تراث للذي صار اعظما
ولانحسب الاحوال وهي عوارض تغير في أصل المبادي فنسأما

ومنها

وان الفتى من زان مسقط رأسه بما ناله من حكمة وتعلما
فذاك الذي في بردة الفضل ينثني وليس الفتى من بالعقيق تخيما
فان ينتظم شمل الرجال بقطرنا ترتب فيه أمرنا وتنظما
لان نجاح الصقع في حسن أهله اذا كان امر الود في القوم محكما
فكونوا كجسم واحد ان تألمت له عضلة تلق الجميع تألما
تعوزوا بتذليل الصعاب اذا عصت وقوموا على ذا الدهر إما تهضما
وتحظوا باعلاق المنى وتحققوا بهمتكم من عصرنا ما توسما
هو العصر وافى ضاحكا عن فنونه وقد كان من قبل عليكم تأجما

وختامها

كفى عصرنا فخرا وعزا اذا دعى أمير الورى عبد الحميد المعظما
ليجهد في استرجاع رونق شرقنا وتجديد ما من مجده قد تهدما
فلا زال في عصر الخلافة قائما لما آد من أمر العباد مقوما
ينث عليه الخافقان بعدله ثناء جميلا بالدعاء مختما

﴿ تاريخ دول العرب والاسلام ﴾

مؤلف هذا الكتاب هو الاديب الفاضل محمد طلعت أفندي حرب من موظفي الدائرة السنية وأحد أعضاء الجمعية الجغرافية الخديوية وقد

تم الجزء الاول منه وطبع في المطبعة الاميرية في مصر وهو يشتمل على تمهيد وبابين أما التمهيد ففي حدود بلاد العرب الاصلية ومواطن العرب وحاصلات بلادهم ومساحة جزيرة العرب وعدد سكانها وتشوف الافرنج اليها وذكر أشهر سياحيهم الذين دخلوها وأما البابان فأحدهما فيما كان عليه العرب قبل الاسلام وفيه أربعة فصول وثانيهما في العرب بعد الاسلام وفيه فصلان وقد اقتبس المؤلف في هذا الباب جملة صالحة من « رسالة التوحيد » التي ليس لها في شرح حقيقة الاسلام نظير والكتاب مفيد في بابه على اختصاره وهو مطبوع على ورق نظيف وثمنه اثني عشر قرشا أميريا . ويطلب من مكتبة الترقي في القاهرة فنحث على مطالعته كل ناطق بالضاد .

وانا نورد هذه النبذة المفيدة نموذجاً منه وهي تشوّف الافرنج الى بلاد العرب وذكر أشهر سياحيهم الذين دخلوها لا سيما بلاد الحجاز

« من تصفح كتب الغربيين علم انهم متطلعون من زمن غير قريب لمعرفة تلك البلاد طامعون فيها متشوفون للوقوف على حقيقة أحوالها حيث لم يشف غلتهم ما ذكره عن بعضها جماعة من مؤرخي اليونان والروم الاقدمين مما لا يخلو من النقص في مواضع والحشو والرجم بالغيب في غيرها ولا يخفى على القارئ اللبيب دواعي هذه الاطماع فلكل دين طباع وعوائد وتجارة وصوالح يتمنى ان تسود على ماسواها وان يتلاشى ماعداها

« وكان معظم اهتمام الفرنج باكتشاف تلك البلاد في القرن الماضي وجاء في كتاب الجغرافي الفرنساوي لانيه عن كلامه على بلاد العرب ان أول من باشر البحث عن هذه البلاد من الأوربيين هو الالماني نيوبهر

المشهور رئيس الارسالية الدانيركية (سنة ١٧٦٢) وكان رحلته لبلاد اليمن لا كتشافات علمية على مايؤ كدون وبعد ذلك بنحو نصف قرن توصل الاسباني باديا بواسطة تغيير زيه واسمه ملقبا نفسه (علي بك العباسي) الى مدينة مكة المكرمة وكان أتى مصر أولا وتظاهر بالاسلام ومنها ذهب لبلاد العرب بالصفة السابقة في سنة ١٨٠٧ بعد ان تحصل في حلب على أوراق رسمية تثبت نسبته الى الاشراف [1] وفي سنة ١٨٠٩ تمكن الفرنساوي روش وكان مترجما مقربا عند الامير عبد القادر الجزائري من الدخول بصفة وزير عربي الى مكة المكرمة حيث حظي بلقياه وحفاوة شريفها سيدي محمد بن عون وأعلمه انه وافد من قبل الامير ليحصل على التصديق من علماء العرب على فتوى أفتاها علماء مصر والقيروان [2] وسافر من مكة للطائف ولدى عودته لمكة حضر جمع الحج الشريف ولكن دل عليه بعض الحجاج الجزائريين فكشفوا خبره وفضحوا أمره وقبضوا عليه وساقوه الى السجن والناس حوله تحاول الفتك به فسلمه شريف مكة كتاب أمان وبعض نقود يستعين بها على سفره وأشخصه الى جدة .وفي سنة ١٨١٠ ذهب الالماني شيتزن لبلاد اليمن وقتل هناك وفي سنة ١٨١٤ وسنة ١٨١٥ احتال السائح السويسري بورك هارد حتى دخل مكة والمدينة ورجع مستمدا ببعض معلومات عن حالة البلاد الجغرافية وعن أهاليها وتظاهر

---

(١) «المنار» انظر الى أين وصل شرف نسب الانسان حين صار يثبت بالاوراق الرسمية التي قلبت الاوضاع وصيرت الباطل حقا والكذب صدقا

«٢» تقدم ذكر هذا الرجل وهذه الفتوى في مقالات «سلطة مشيخة الطرق الروحية» من المنار

في آخر أمره بالاسلام وعليه مات وقبره بمصر واسمه عليه هكذا : عبدالله بوركهارد ومشهور عند العامة باسم الشيخ بركات. ثم حمل المصريون في هذا الوقت على الوهابيين فسهلوا بعض التسهيل دخول الاجانب بلاد العرب فتمكن بعض الفرنساويين من وصف مكة والمدينة المشرفتين وضواحيهما وأول من اجتاز الطريق من الخليج الفارسي للبحر الاحمر كما ورد بكتاب لانيه المذكور هو الضابط الانكليزي سادليه بأمر من حكومة الهند . والالماني رايل عبر بلاد الحجاز في سنة ١٨٢٦ والجهات المجاورة لخليج العقبة وفي هذا الوقت بينما كان بعض الضباط البحريين من الانكليز مكلفين من قبل حكومتهم بعمل خريطات لسواحل البحر الاحمر تطوف أحدهم وهو الملازم ويلشتيد وذهب الى عمان في سنة ١٨٢٨ وفي سنتي ١٨٣٧ و١٨٤٢ قام الطبيعي بوباو الملازم باسانا بما قام من قبل نيوبهر الالماني ونجحا بعض النجاح في اكتشافاتهما العلمية وفي سنة ١٨٤٣ زار الالمان ارنولد وفولحانس فريسنل شواطيء بلاد العرب الغربية والقبلية فزار أولهما مدينة سبأ وآثار مأرب ونقل صور كتابات كثيرة حميرية وفي هذا الوقت اجترأ العالم الالماني البارون وريد على التوغل حتى بلاد حضرموت التي لم يسبقه ولم يلحقه اليها أحد من الاجانب كما قال لانيه السابق ذكره وفي سنة ١٨٤٥ دخل العالم الفنلاندي أوجستون والين في الجوف وجبل شمر بزي مسلم واجتاز بلاد العرب من الغرب للشرق وفي سنة ١٨٥٣ رافق الحج المسيو ريشار برتون بزي مسلم أيضا ووصل الى مكة والمدينة المكرمتين

وفي سنة ١٨٦٢ و١٨٦٣ تمكن ويليام بلجراف الانكليزي من زيارة بلاد العرب من جهة الشام وشواطيء عمان وملخص ترجمته وقصته على

ما جاء في الكتاب السالف الذكر هو انه ولد بوستمنستر من أعمال انكلترا سنة ١٨٢٢ وكان أبوه متشرعا ومؤرخا انكليزيا شهيرا وتخرج بمدرسة أوكسفورد ثم خدم في الجيش الهندي وأقام بعدها عدة سنين في الشام تلم في أثنائها العربية وتعرف ببعض الآباء اليسوعيين بهما ثم حدثته نفسه بالرحيل لبلاد العرب وساعده هؤلاء الآباء على انماء هذه الفكرة وحصلوا على تعضيد نابليون الثالث أمبراطور فرنسا وقتئذ له وصبغوا رحلته بصبغة دينية سياسية سرية نفقاتها دفعت من جيب الامبراطور المذكور فسافر بلجراف مؤملا الوصول لتحريك الدم العربي الراكد حسب زعمه وتمدين بلاد العرب بواسطة تسهيله طرق اختلاطهم بالغربيين ومضمرا انتهاز فرصة الشقاق الذي كان بين أهالي نجد لإحداث ثورة دينية سياسية عليه يستفيد منها أن يستبدل دينهم بالدين المسيحي كما ثبت في مخيلته فتزيى بزي أحد أغنياء العرب وادعى أنه حكيم واستصحب معه بعض أهل البادية يحرسونه ومسيحيا شاميا جعله تلميذا له وكان يحمل معه على ظهر ركائبه بعض أدوية وعقاقير تدل على صنعة الطب التي انتحلها لنفسه ولما وصل الى نجد أقام مدة بالرياض عاصمة الوهابيين وكان يحكم عليها وقتئذ الامير فيصل وقد كاد هذا الخاطر بنفسه أن يلقى منيته هنالك من يد ابن هذا الأمير الذي توجس منه خيفة وقد افتضح بعض أمره لولا تخلصه بالفرار فاجتاز النفود الشرقية وأقام بالهفوف من أعمال الاحساء وزار القطيف وجزائر البحرين وتوجه لعمان ماراً على هرمز ومسقط ثم قفل راجعا الى الشام مارا بالبصرة والموصل وماردين وديار بكر

وفي سنة ١٨٦٤ رسم الايطالي كارلوجوارماني قطعة من بلاد العرب على حدود الشام ثم ان الالماني وتيزتيد قنصل بروسيا بدمشق اذ ذاك وضع كتابا في جغرافية بلاد العرب حسب ما التقطه من أفواه بعض الحجاج ورؤساء القوافل التجارية

وفي سنتي ١٨٦٩ و١٨٧٠ ساح الالماني مالتزان والسوسيري مونزنجر والفرنساوي هالفي منفردين بالجهة القبلية الغربية من جزيرة العرب وحصلوا كما يقولون على بعض معلومات مهمة

وفي سنة ١٨٧٩ اجتاز الانكليزي بلونت وامرأته بلاد الاردن ومنها الى الفرات ثم وصل الى حائل من بلاد نجد . وفي سنة ١٨٨١ اجتاز هوبرا صحاري بلاد العرب البحرية والغربية

وفي سنة ١٨٨٢ جعل الفلكي النمساوي جلازير بلاد اليمن موضع أبحاثه

هذا ولا زلنا نسمع كل يوم بالجرائد وغيرها أن بعضا من الفرنج قد بارح بلاده قاصداً السياحة والتروح ببلاد العرب والله أعلم بما يضمرون وما يلاقون هنا وما يكتشفون وكذلك قرأنا أن بعض من الدول يحاول من سنوات الاستيلاء على شواطيء الخليج الفارسي طمعا في أهمية مركزها وفي وفرة خيراتها ولنترك للمستقبل كشف الستار عن هذه الاطماع ونتيجة تلك الغايات اه

(احياء سنة او سنن واماتة بدع)

لقد كانت حياة الفاضلة منجلة الفضلاء والدة أصحاب العزة سعد بك واحمد فتحي بك زغلول خيراً لما كانت تأتيه من أعمال البر والاحسان وكان في مماتها خير لما أمات من البدع وأحيا من السنن

من كان يخطر على باله ان العادات السيئة التي أضرت بالدين والدنيا تحكم على العلماء وأهل الهداية والارشاد فلا يحاولون التفصي من عقلها والانطلاق من قيودها ، ثم تكسر مقاطرها « جمع مقطرة خشبة فيها ثقوب توضع فيها أرجل المحبوسين وقد فسرت قبلا » بأيدي علماء القانون وقضاة المحاكم الاهلية النظامية الذين يتوهم المعتزلون عن العالم في خلواتهم ومساجدهم انهم لا يبالون بخدمة الدين والانتصار لأصوله الشريفة والتدقيق في أحكامه والعمل على احياء سننه وآدابه الكافلة لسعادة الامم !

يقضي الميت في بيوت رجال الدين فتنشر الشعور وتدق الصدور وتلطم الخدود وتشق الجيوب وتسود الوجوه والملابس وتقلب أوضاع المساكن وتصيح الصائحات وتعدد النائحات وتسير الجنازة والنار توقد أمامها ودخان البخور يتصاعد من المجامر الفضية « اذا كان الميت غنيا » أو غير الفضية ويعلو الضجيج من فرق أهل الطريق فمنهم من يقرأ الاوراد ومنهم من ينشد الاشعار كالبردة والمنبهجة فتختلط أصواتهم بأصوات النساء الصارخات الخ ماهو مشاهد لجماهير القراء ثم تعقد محافل المأتم